View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by e-Journal UIR (Journal Universitas Islam Riau)

Al-Hikmah: Jurnal Agama dan Ilmu Pengetahuan
Vol. 17 No. 2, Oktober 2020
P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

AL-BADEE OF ABU AL-HASAN AL-HUSARI AL-QAYRAWANI IMPACT IN DEVELOPING OF THE ARGUMENTATION STUDY

أثر البديع عند أبي الحسن الحصري القيرواني في تطوير الدّرس الحجاجي

Sekou KOUYATE
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia
jelifama@gmail.com

ABSTRACT

The research aims to reinterpret the well-known of Al-Badee Arts, in view of the Argumentation theory, in order to observe the transformations of the meaning in some models of Poetry of Abu Al-Hasan Al-Husari Al-Qayrawani. The researcher used the applied descriptive method, to study the ways of the transformations of the meaning, and extracting some models from the poems, and analyzing them. Therefore the research reached some important conclusions which are;1) If the new rhetoric is interested in the embellishment, because it is an Important instrument to the creativeness and the persuasion, Al-Badee can develop the Argumentation study, especially if the poet is sincere in his sufferance, and also wishes to convey his message, such as Al-Husari who benefited from Al-Badee Arts, for the purpose of persuasion, proof, and inference, 2) The poet was able to combine between the form and content. His interests in Al-Badee Arts revealed his desire to remove dust from speech, and give it the complete clarification, customization and justification, etc., generally, his employment of Al-Badde fits the meaning he is trying to form, 3) The repetition of the poet for some elements isn't a proof of inability to apply others elements, or a desire to decorate the speech only, but because he was bound by this repetition for its influential importance.

Keywords: *Al-Badee, Argumentation theory, Meaning*

FIRST RECEIVED:	REVISED:	ACCEPTED:	PUBLISHED:
29 June 2020	18 October 2020	31 October 2020	13 December 2020

المقدمة

موضوع البحث:

يدرس هذا البحث دور البديع في تشكّل المعنى في الخطاب الشعري، ويقدّم قراءة جديدة لشعر أحد الشعراء المولعين بالبديع، وهو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني الضرير، الذي أصيب بآفة العمى في مرحلة طفولته المبكرة.

المشكلة التي يتناولها البحث:

تنطوي الإشكالية التي تطرحها هذه الدراسة ضمن البحث في أثر البديع في تطوير الدرس الحجاجي، وأثر ذلك على

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

ومبحثين، وخاتمة.

وتضمنت المقدمة موضوع البحث، وإشكاليته، وتساؤلاته، ومنهجه، واشتمل التمهيد على طبيعة الحجاج وأسباب حضوره في الشعر، وعلاقته بالبديع، واستراتيجياته، وتناول المبحث الأول الحجاج التجريبي، وخُصّص المبحث الثاني للحجاج الفلسفي، أما الخاتمة فاشتملت على أهم النتائج، وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: البديع، المعنى، نظرية الحجاج.

التمهيد

أولا: طبيعة الخطاب الحجاجي وأسباب حضوره في الشعر، وعلاقته بالبديع:

لقد قام القدامى بالتمييز بين الشعر والخطابة، وكثيرا ما ربطوا الحجاج بالخطابة، والشعر بالعاطفة، إلا أن الواقع يشير إلى أن الحجاج يحضر في بعض النماذج الشعرية مثل حضوره في الخطابة، دون أن يفقد الشعر شعريته؛ ذلك أن الشاعر في بعض الأحيان –مثل الخطيب- يحاجج من أجل الدفاع عن فكرته وإقناع القارئ بها[1]، ومما يبرّر ربط الشعر بالحجاج كون هذا الشعر لغة وقول، فمتى وجدت اللغة وجد الحجاج، لأن الحجاج متجذر في اللغة ولا المتلقي، إن البحث في العلاقة بين البديع والدرس الحجاجي يطرح العديد من التساؤلات لعل من أهمها: ما أثر البديع في تطوير الدرس الحجاجي في الخطاب الشعري؟ كيف يمكننا رصد تحولات معاني البديع؟ كيف يمكننا الاستفادة من أدوات البلاغة الجديدة وربطها بالبديع لدراسة ظاهرة الحجاج؟

تساؤلات البحث:

يسعى البحث إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة منها:

- كيف استطاع أبو الحسن الحصري أن يوفّق بين الاهتمام بالشكل والمضمون؟

- ما الدور الذي تقوم به فنون البديع في تطوير الدرس الحجاجي، وتقوية الدلالة، وإقناع المتلقي والتأثير فيه في شعر أبي الحسن الحصري؟

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التطبيقي من أجل دراسة طرق تحولات المعنى، واستخراج الشواهد من قصائد الشاعر وتحليلها، وذلك من أجل الوقوف على أثر هذا اللون البلاغي في تطوير الدرس الحجاجي.

خطة البحث:

ويتكون هذا البحث من تمهيد،

(1) ينظر: ابن جعفر، قدامة: نقد النثر أو كتاب البيان. بيروت: دار الكتب العليمة، 1400ه-1980م، بدون طبعة. ص135.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

يزينه، كما أن المعنى الجميل تكون فعاليته على المتلقي أكبر[5] .

فالبلاغة الجديدة تحتفي بالزخرف وتستقبله، ولكنها لا تقف في حدود قيمه الجمالية فحسب، بل تستغلها لكونها وسيلة ناجعة للإبداع من جهة، والإقناع من جهة أخرى.

ثانيا: استراتيجيات الحجاج (الإقناع، البرهنة، الاستدلال)

وثمة علاقة متينة بين هذه الاستراتيجيات الثلاث، أي الاستدلال والإقناع والبرهنة، فما غاية العناية بترتيب العناصر اللغوية إلا البرهنة على صدق الادعاء أو الاستدلال عليه، ليكون ذلك مسوّغا إلى إقناع المخاطَب.

أ- الإقناع:

يعدّ الإقناع أحد أهم استراتيجيات الحجاج وهو "عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد يعتبره كل منهما (أو يعتبره المخاطِب) شرطا كافيا ومقبولا للفعل أو الترك"[6]، فمبدأ الإقناع هو الرغبة في الفعل أو الترك، ومنتهاه استجابة القارئ لإحدى تلك الرغبتين، وهنا نفرق بين الإقناع والاقتناع، و "المرء في يمكن فصله عنها[2].

وعليه، فإن الشعر يستطيع القيام بالحجاج عن طريق الصور واللغة والإيقاع، أو استجلاب المعاني العقلية المنطقية، على غرار الخطابة ومقالات الفلاسفة وعلماء الكلام[3]، وهذا يعني أن أساليب الإقناع يمكن أن تتضافر مع أساليب الإمتاع في الشعر لتكونا أثرا فعالا في التأثير على المتلقي.

وخلاصة القول إن الخطاب الشعري يمكن أن يكون خطابا حجاجيا مؤثرا؛ إذ يجوز لكل منهما استعارة أدوات الآخر وتوظيفها في حدود ما يتطلبه المقام، فإذا كان غرض الخطبة هو الإقناع في المقام الأول، وغرض الشعر هو الإثارة والإمتاع في المقام الأول، فإن الخطيب والشاعر يستطيعان كلاهما، أو يجب عليهما –إن صح التعبير- استعمال وسائل معينة لإقناع المخاطَب، لأنه المعني والمستهدف، وفنون البديع من موازنة وسجع وترصيع وتجنيس من شأنها جذب انتباه المتلقي، ومن ثمّ التأثير فيه وإقناعه[4]، لأن المحسنات البديعية ليست صورا فنية وتزيينية تتوقف عند حد الإمتاع فقط، بل هي من التقنيات الحجاجية، إذ لا يمكن فصل الجمال عن الإقناع؛ لأن المعنى بحاجة إلى جمال

(5) ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه. ص122.
(6) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2004. ص 451.

(2) ينظر: صادق، مثنى كاظم: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: تنظير وتطبيق على السور المكية. تونس: كلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2015. ص22.
(3) ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه. إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث، ط2، 2011. ص74.
(4) ينظر: العزاوي، أبوبكر: الخطاب والحجاج. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 2010. ص38.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

البديع في نماذج من شعر أبي الحسن الحصري، لمعرفة الاستراتيجية التي استعملها أثناء توظيفه لهذه الفنون، بمعنى هل كان الشاعر يحاول بها أن يقنع أو يبرهن أو يستدل؟ وذلك من خلال ملاحظة سياق الخطاب.

بعد هذا التقديم النظري، سوف نتناول – فيما يلي- الجزء التطبيقي، الذي يهدف إلى دراسة فنون البديع، من خلال تخطي الجانب التخييلي والجمالي فيها، والتركيز على الجانب الحجاجي.

المبحث الأول: الحجاج التجريبي

يسمى هذا النوع من الحجج حجاجا تجريبيا؛ لأنه يقوم على الوقائع، وعلى تجارب ملاحظة أو معيشة[10]، وهو يشمل الحجاج بعض العلاقات السببية القائمة على التبرير، والحجاج بواسطة القرائن، والإيضاح لتقوية مسألة من المسائل، وقد استفاد الحصري من هذه التقنيات لأهميتها الحجاجية.

المطلب الأول: التبرير أو العلاقات السببية:

وغاية هذا الضرب من الحجاج، هو بيان وجود علاقة سببية بين حدثين[11]، وغالبا ما

(10) ينظر: طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. الدار البيضاء: دار الثقافة، ط1، 2005. ص 33.
(11) ينظر: بلانتان، كريستيان: الحجاج. ترجمة: عبد القادر المهيري. تونس: وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، 2009، بدون طبعة. ص72.

حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة، فهو أشبه بالحجاج الذاتي، أما في حالة الإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائما"[7]، لذا يفترض الباحث أن الشاعر في توظيفه لفنون البديع، كان يضع نصب عينه طرفا معارضا مشكّكا فيما يعرضه من الأفكار والمعاني، لذا لجأ إلى هذه الأشكال المخصصة لهدف الإقناع، كما يفترض أيضا أن الشاعر كان يحاجج نفسه محاجّة حميمية، يهدف بها إلى الاقتناع.

ب- البرهنة:

وهي استنباط يسعى إلى إثبات صدقية النتيجة عن طريق تقديم مقدمات صادقة أو محتملة، معترف بها لدى المتحاورين[8].

ج- الاستدلال:

ويقصد بالاستدلال أن تستنبط من المقدمات نتائج مباشرة غير ظنية الدلالة، بحيث يستوعبها جميع الناس بلا اختلاف، لذا يشترط فيه أن تكون كافة عناصره المكونة قطعية، غير محتملة لأكثر من وجه، بحيث يفهمه جميع الناس دون أن يؤدي تأويلهم إياه إلى اختلافات[9].

بناء على ما سبق، فإن البحث سيتتبع

(7) صولة، عبد الله: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات. تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، 2011. ص15.
(8) ينظر: علوي، حافظ إسماعيلي: الحجاج: مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إربد: عالم الكتب الحديث، 2010، بدون طبعة. ج3، ص80.
(9) ينظر: صولة، عبد الله: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات. ص14.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

المطلب الثاني: حجة القرينة:

يعنى بالحجاج بواسطة القرائن، ربط النتيجة بالسبب[16]، ومن أشهر فنوها لدى الحصري، الجناس، ومما ورد من ذلك قوله في رثاء ابنه عبد الغني:

يَافع نافعٌ زكيٌّ ذكيٌّ عقله مَعْقَلٌ وسيماه نسكُ[17]

الشاهد هو الجناس اللاحق (نوع من الجناس الناقص) بين (يافع، نافع) وبين (زكي، ذكي)، وجناس الاشتقاق بين (عقل، معقل)، فالظاهر أن الكلمات المتجانسة تحمل دلالات معنوية مختلفة، غايتها موسيقية صرفة، وبعد الفحص تبيّن للباحث أن الشاعر أراد بالتجنيس الأول أن يربط السبب بالنتيجة، لأن الابن وإن كان نافعا في جميع الأحوال، إلا أنه في مرحلة الشباب والنضج والإنتاج يكتمل نفعه، وهذا هو المعنى المراد تشكيله بقوله: (يافع نافع) فالنفع، إنما سببه اليفع.

أما التجنيس الثاني:(زكي، ذكي)، فهو أيضا محاولة لربط السبب بالنتيجة، فالزكاء والطهارة من أسباب الذكاء، ولذا يقال إن الاستحمام يجدد النشاط للجسم والعقل.

وهكذا الحال مع التجنيس الثالث بين:

يكون هذا السبب مخالفا للسبب الحقيقي[12]، ويعد حسن التعليل من أبرز فنون البديع التي وظفها أبو الحسن الحصري لغرض التبرير، ومما ورد من ذلك في شعره، أنه جعل سبب الموت الشاق، عدم تبيّن الدواء المناسب بالنسبة للدّاوي:

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ مِيتَةَ مُدْنَفٍ أَخْفَى عَلَى الآسِي دَوَاءَ الدَّاءِ[13]

هنا يربط الشاعر شدة وصعوبة الموت بعدم تبيّن الدواء بالنسبة للطبيب، رغم أن شدّة الموت لا يلزم أن يكون نابعا من ذلك دائما، وهذا هو حسن التعليل الذي يعني به علماء البلاغة أن يترك الأديب علة الشيء الحقيقية، ويستبدلها بعلة أدبية طريفة، وتكون هذه العلة المفتعلة مناسبة للغرض الذي يرمي إليه[14]، والشاعر بهذا التعليل، وبناء على تجربته في علاج ابنه، يحاول أن يبرهن على حجم المجهودات التي بذلها في علاج ابنه، إلا أنّ الله لم يوّفقه في سعيه.

فحسن التعليل –هنا- يضطلع بوظيفة مهمة من وظائف الصورة الشعرية، وهي تصوير تجربة الشاعر، وإيصال هذه التجربة إلى الآخرين[15].

(15) ينظر: داحم أسية: الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية. رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر، 2008. ص28-31.

(16) ينظر: بلانتان، كريستيان: الحجاج. ترجمة: عبد القادر المهيري. تونس: وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، 2009، بدون طبعة. ص79-80.

(17) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص 148.

(12) ينظر: طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. ص33.

(13) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ط2، 1973. ص 79.

(14) ينظر: السبكي، أحمد بن علي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1423-2003. 266/2.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

الحسن الحصري: الإيضاح، والتعطيف، والترديد، والتفريق. يقول شاعرنا:

سَلامٌ عَلى الأحبابِ تَفتقُهُ الصبا كَما فَتَقَ المِسكُ الزَكيّ التَنَفّس[20]

الشاهد هو التعطيف في قوله: (تفتقه، وفتق)، حيث تعلقت الكلمة الأولى بالصبا، وتعلقت الثانية بالمسك، ويقصد بالتعطيف "أن تعلق الكلمة في موضع من الصدر بمعنى، ثم تعلقها فيما سوى الضرب من العجز بمعنى آخر"[21]، وقد وظّفه الحصري في هذا البيت لغرض الإيضاح الحجاجي، فهو يوضّح كيف يريد أن يصل سلامه إلى أحبابه، فتخيّل أن يصل إليهم مخلوطا بنكهة الشوق، مثلما يستمتع المرء بتنفس المسك الزكي، والشاعر بهذا التعطيف يبرهن على أنه يشتاق إلى أحبابه، شوقا طيبا نقيا.

كما وظّف الترديد -في سياق حجة الإيضاح أيضا- وذلك في قوله:

ألفته مِثْلَ مَا آلَفَهَا وَأَحَبَّتْهُ اعْتِقَادًا لَا مَلَق[22]

يتمثل الترديد في تكرار كلمتي: (ألفته، آلفها) في المصراع الأول، وتعلقت الكلمة الأولى بالأَمة التي اعتنت بابن الشاعر بعد موت أمه، وتعلقت الكلمة الثانية بالطفل، والترديد عند ابن رشيق القيرواني: " أن يأتي (العقل والمعقل)، فكون هذا الابن ذا تفكير نيّر، وصاحب تصورّ صائب، هو السبب الذي دفع بالناس إلى اللجوء إليه، وجعلهم إياه معقلا.

ونلاحظ في صدارة البيت حذف المسند إليه (المبتدأ) وإثبات المسند (الخبر)، وأصل الكلام: هو يافع نافع...إلخ، ولعل الغرض من هذا الحذف هو التعظيم والتفخيم.

ومن الجناس المبني على العلاقة السببية، ربط الشاعر الحصري بين الغنى والغواني:

أرَى المَرْءَ أدْنى مَا يَكُونُ مِنَ التُّقَى إذَا عفَّ خلْوًا مِنْ غِنى وَغوَانِي[18]

فـــــــ (الغنى) هو سبب البحث عن (الغواني)، لأن امتلاك المال هو الذي يؤدي بالمرء أحيانا إلى الذهاب إلى الغواني؛ لقدرته على الإنفاق عليهن، كما أن الغواني يؤدي بهن حبّ الغنى وحب المال إلى مزاولة تلك المهنة الدنيئة أيضا؛ فهن لا يتبعن سوى الأغنياء، أو من هم قادرون على مكافأتهن مقابل رقصهن أو بيعهن لعروضهن.

المطلب الثالث: حجة الإيضاح أو حجة المثال:

وغرض الإيضاح تقوية مسألة مقبولة، وإعطاؤها مظهرا حيا ملموسا[19]، ومن فنون البديع التي قامت بحجة الإيضاح في شعر أبي

(21) ابن مالك، بدر الدين: المصباح في المعاني والبيان والبديع. الجماميز: مكتبة الآداب ومطبعتها، بدون طبعة وتاريخ. ص 164.
(22) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص 52.

(18) المصدر السابق. ص173.
(19) ينظر: طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. ص35.
(20) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص24.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

الشـــاهد هو البيت الثاني، حيث يفرّق الشـــاعر بين رثائه ورثاء المحبوبات للحب، فهن في رثائهن للحب لا تنهمر من وجناتهن دموع للحزن، وأما الشـــاعر في رثائه للحب، تنثر عيونه دموعا ولؤلؤا.

يحاول الشـــاعر بهذا التفريق أن يوضّـــح للمتلقي أنـه وفيّ في حبّـه، يحزن على البين والفراق، وحديثه هنا عن المحبوبات يحتمل وجهين:

أحدهما أن يكون الشـــاعر قد أحب نســـاء أخريات غير زوجته، لأن الشـــعراء لم يقف غزلهم على امرأة معينـة، بـل تنقلوا بـه بين الفتيات تنقل الفراش بين الأزها [26]، والآخر أن هذا الحديث يوحي بعشـق الشـاعر للجمال والطبيعة والحســـن، دون أن يكون قد أحبّ نســاء كثيرات، وذلك أسـوة بامرئ القيس في الجاهلية، وعمرو بن أبي ربيعة في الإســلام، وغيرهمـا من عشـــاق الجمـال وطلاب اللذائذ[27].

والوجه الثاني أقرب إلى اعتقاد الباحث، نظرا إلى تكوّن الشـــاعر الـديني والعلمي والثقافي، إضـــافة إلى كونه ضـــريرا، وغير ذلـك من الأمور التي تعيقـه عن التنقـل بن المحبوبات.

الشـــاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه"[23]، أما بدر الدين بن مالك، فقد خصّص أن يكون التكرار الخـاص بـالترديـد في المصـــراع الأول فقط، وهذا يميزه عن تكرار التعطيف الـذي يكون أحـد ركني التكرار في المصـــراع الأول والآخر في المصـــراع الثاني[24]، وقد اعتمد الباحث على تعريف ابن مالك؛ لدقته.

وقد وظّفه الحصـــري هنا ليوضّـــح طبيعة الحب بين تلك الحب وهذا الطفل، وهو الحب المتبادل، وهذا وقد مكّن هذا الإيضاح الشاعر من البرهنـة على حـب تلـك الأمـة كـان حبـا خالصـــا، خاليا من النفاق، وهذا ما أكّده في المصـــراع الثاني بقوله: (وأحبّته اعتقادا لا ملق).

ويستمر الشاعر في تعزيز حجة الإيضاح، فيوظف التفريق في قولـه مفرّقـا بين طبيعـة اشـــتكائه للبين والمحبوبات، إذ بدا الشـــاعر متأثرا بالبين، على خلافهنّ، يقول:

نعينَ إلى البَينِ لا كـانَ يَـــــــومُـــــــهُ — فَما بالُهُ لَم يَخلُ مِنهُ مَكانُ

نَـدَبنَ وَلَم يَـذرِفنَ دَمعـاً وَإِنَّـــــمـــــا — تَناثَرَ مِن دَمعي لَهُنَّ جُمانُ[25]

(23) ابن رشيق، الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه. بيروت: دار الجيل، ط5، 1981. 333/1.
(24) ينظر: ابن مالك، بدر الدين: المصباح في المعاني والبيان والبديع. ص162.
(25) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص 37.
(26) ينظر: إبراهيم، البخاري عبد المحمود الشيخ: أبو الحسن الحصري" حياته وشعره". رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة أم درمان، السودان، 2009. ص 102.
(27) ينظر: بيومي، السباعي: الغزل والنسيب في شعر حافظ .صحيفة دار العلوم (الإصدار الثاني) - مصر، س 4، ع1، 1937. ص106.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

ظَنَنتُ بِأَنَّ الدَهرَ يَبقى مُسالِماً وَهَيهاتَ حَربُ النابِياتِ كَظوظَ
ظُباتُ الهَوى وَالهَجر وَالعَذل وَالنَوى وَواشٍ وَغَيران عَلَيَّ حَفيظُ[30]

يبدو الجمع في قوله: (حرب النائبات كظوظ)، كناية عن مشاكل الدهر، ويتجلى التقسيم في تعداد تلك المشاكل، والتي تمثلت في ستة أشياء: 1- مرارة العشق 2- هجر المحبوب 3- وجود لوام العاشقين 4-البعد عن المحبوب 5-نمنمة الوشاة 6- وجود من يغار على العاشق، ويدقق في كل شؤونه وتصرفاته، يريد الشاعر بذكر هذه الأجزاء، أن يحافظ على قوة الحجاج، وأن يبرهن على وجود أجزاء تلك النوائب والمصائب التي نسبها إلى الدهر، وإظهارها للمتلقي ليكون على علم بها. والجمع والتقسيم عند علماء البلاغة " أن تجمع أمورا كثيرة تحت حكم ثم تقسم أو تقسم ثم تجمع"[31].

المطلب الثاني: فنون حجة المقارنة:

والمقارنة استراتيجية حجاجية، ولا يلزم أن تكون حقيقة أو واقعية، لأنها تتأتى أحيانا من خيال المحتج فحسب(32)، وقد وظف شاعرنا بعض الفنون البديعية؛ بغية تجسيد هذه الحجة، منها: الطباق، حيث تناوله من أجل المقارنة بين العدوّ المتعاطف مع المحبّ، والحبيب الجاف معه، محاولا إقناع هذا

المبحث الثاني: الحجاج الفلسفي

ومن فروعه المتصلة بألوان البديع في هذا البحث: تقسيم الكل إلى أجزائه، وحجة المقارنة، وحجة التضمن، وقاعدة العدالة، وقاعدة السابق، وحجة المتلازمين، وتحصيل الحاصل أو الحجاج بالحشو.

يعّد البلاغيون هذا النوع من الحجج حججا شبه منطقية، والحجج شبه المنطقية –مع قبولها للرفض والتفنيد- فإنها تقدم مظهرا أكثر دقة من أغلب الحجج الأخرى؛ لذا تستفيد البلاغة من صرامة هذه الحجج في المجالات الخلافية[28]، ومن فروعها:

المطلب الأول: تقسيم الكل إلى أجزائه:

ويعنى بتقسيم الكل إلى اجزائه أن يعود المتكلم بعد أن يجعل حجّته جملة واحدة، ليفنّدها ويعدّد أجزاءها إن كانت ذات أجزاء، وذلك للحفاظ على قوّتها الحجاجية، والبرهنة على وجود أجزاء الشيء موضوع التقسيم[29].

ومن الفنون البديعية التي وظّفها الشاعر الحصري؛ تطبيقا لحجة تقسيم الكل إلى أجزائه: الجمع والتقسيم، التقسيم، وقد ظّف الجمع والتقسيم، لغرض الحجاج، وذلك في قوله:

(31) السكاكي، يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1407هـ -1987م. ص426.

(32) ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه. ص 248.

(28) ينظر: طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. ص26، ص33.

(29) ينظر: صولة، عبد الله: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات. ص48.

(30) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص 29.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

يتمثل رد العجز على الصدر في التكرار، أي في قوله :(بهظتني، أن تبهضا)، وبه يحاول الشاعر الاستدلال على أن ما أورثه له موت ابنه من الحزن، يمكن أن يحلّ لجميع الناس، ويتجلى تجاهل العارف في استفهام الشاعر عن إمكانية الخلاص من قبضة الموت بقوله: (فكيف أمانك أن تبهظا؟) وهو يعلم أنه لا مفر من الموت، كل ذلك للتأكيد على أنه لا نجاة من الموت.

ويقصد برد العجز على الصدر" أن يكون إحدى الكلمتين المتكررتين أو المتجانستين أو الملحقتين بالتجانس في آخر البيت والأخرى قبلها في أحد المواضع الخمسة من البيت وهي صدر المصراع الأول وحشوه وآخره وصدر المصراع الثاني وحشوه"[36]، وأما تجاهل العارف فهو مزج الشك باليقين، أي سؤال المتكلم عن شيء يعرفه تجاهلا منه[37].

المطلب الرابع: فنون قاعدة العدالة:

ولا تختلف قاعدة العدالة عن حجة التضمن؛ إذ تفترض أن الحالات المدروسة متكافئة، من هنا جاء مبدأ تطبيق قاعدة واحدة على تلك الحالات الموجودة في الوضعية نفسها[38] ، ومن الفنون البديعية التي يمكن الحبيب بتغيير سلوكه، وذلك في قوله:

بَكَت رَحمَةً لِلصَّبِّ عَينُ عَدُوِّهِ فَما لِحَبيبِ القَلبِ لا يَرحَمُ الصَّبَا[33]

يتجلّى الطباق السلبي في قوله: (بكت رحمة للصب، لا يرحم الصبا)، وهنا يقارن بين العدوّ اللين مع العاشق، والحبيب القاسي عليه، محاولا إقناع الحبيب بتغيير موقفه، فإذا كان الأعداء يشاطرون العاشق شعوره المرير ويلطف به، فمن الأولى أن ينال العاشق رحمة حبيبه، والغرض من هذه المقارنة، هو تحريك معتقدات الحبيب، ودعوته إلى مشاركة الحبّ مع من أحبّه.

المطلب الثالث: فنون حجة التضمن:

ويعنى بحجة التضمن تعميم الكل على الجزء، أي ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، فهي قريبة إلى ما يسمى في علم الدلالة والمعنى بالانضواء، والانضواء أحد المعايير المستعملة لقياس التشابه بين المعاني[34].

وقد استعمل الشاعر رد العجز على الصدر وتجاهل العارف، في سياق حجة التضمن، للتساوي بين الناس في إمكانية تعرضّهم لنوائب الدهر:

أَنَا بَهَظْتُنِي صُرُوفُ الرّدَى فَكَيْفَ أمانُكَ أنْ تُبْهَظَا[35]

(33) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص14.

(34) ينظر: الخولي، محمد علي: علم الدلالة (علم المعنى). الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع، 2001، بدون طبعة. ص98.

(35) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص 143.

(36) السكاكي، يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم. ص430.

(37) ينظر: العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. بيروت: المكتبة العصرية، 1419، بدون طبعة. ص396.

(38) ينظر: صولة، عبد الله: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات. ص45.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

بين حالتين متنافرتين، موت ابنه، وحضوره الدائم في قلبه، بغية التأثير في المتلقي وإقناعه بأن ما يكنّه لابنه من الحبّ، يجعله غير قادر على التمييز بين وجوده معه، وغيابه عنه.

المطلب الخامس: فنون قاعدة السابق:

تفترض هذه القاعدة تماثلا بين حالتين متفاوتين في الزمن، فنقيس الثانية على الأولى(43)، ومن الفنون البديعية التي يمكن أن تضطلع بتطبيق هذه القاعدة: الجناس، وقد تناوله الحصري في قوله:

حُسِدْتُ عليه قاتل الله حاسدي — فَضَنَّ به الدّهرُ الّذي كان يَسْمَحُ(44)

استعمل الشاعر جناس الاشتقاق في قوله: (حسدت، وحاسدي)؛ للبرهنة على أن دعاءه المشؤوم، بمثابة ردة فعل، فهو يليق بالحسّاد، لذا نرى أن الجناس هنا ليس زينة خاوية عن الدلالة، وإنّما وُظّف لتجسيد قاعدة السابق.

المطلب السادس: حجة المتلازمين:

ويسمي بعض الدارسين حجة المتلازمين، بـ "الحجاج بالأثر"(45)، وهي الحجة التي تجمع بين قضيتين متلازمتين، فلا يمكن اعتبار أحدهما دون استحضار الآخر مثل: دراستها ضمن قاعدة العدالة: الموازنة والسجع.

وقد وظّف الموازنة لتعزيز حجة العدالة أيضا، وذلك في قوله:

كُلُّ عُمْرٍ مُؤَقَّتٌ — فِي كِتَابٍ مُؤَرَّخُ(39)

تبدو الموازنة في كلمتي: (مؤقت، مؤرخ)، والموازنة هي" تساوي الفاصلتين، أي: الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو من المصراعين في الوزن دون التقفية"(40)، وقد استعملها الحصري في هذا البيت للاستدلال على أن الأعمار محدّدة بوقتها، كما تتضمن هذه الموازنة حقيقة معايشة، لا تخفى على مستخدمي أجهزة الجوال، والحاسب والآلي وغيرهما، وهي كون الوقت والتاريخ متلازمين.

كما تناول السجع في قوله:

يا نور عيني فقدتُهْ — وفي الفؤاد وجدتُهْ(41)

وظّف الحصري السجع المتوازي في قوله: (فقدته، وجدته)، والسجع المتوازي، هو استواء آخر جزء في صدر البيت، وآخر جزء في عجزه في الوزن والتقفية(42)، وقد وظّفه الشاعر هنا لتجسيد قاعدة العدالة، فهو يعادل

(42) ينظر: التفتازاني، سعد الدين: المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم. ص695.
(43) ينظر: طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. ص32.
(44) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص18.
(45) بلانتان، كريستيان: الحجاج. ترجمة: عبد القادر المهيري.ص77.

(39) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص 109.
(40) التفتازاني، سعد الدين: المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم. تحقيق الدكتور: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط3، 2013. ص 700.
(41) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص 89.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

بالحشو:

يعنى بهذا الحجاج بعض أنواع الخطابات التي تعدّ حشوا في الكلام، مع أنها في الحقيقة تضطلع بدلالة بالحجاج، لذا يعتقد الباحث أن لجوء الحصري إلى التكرار والحشو، سلوك يراد به إظهار الإحساس الداخلي، لأن تكرار شيء معيّن يشعر بقيمته وأهميته وتميزه عن غيره. والأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت، ضعفت، أي إنهم يزيدون في الصوت لزيادة المعنى وتأكيده، ويقتصدون فيه لضعفه لديهم، وقلة شأنه عندهم[50]، ومن صور تحصيل الحاصل تعدّد التعريفات أو الأوصاف للشيء الواحد، وشرح اللفظ، والتعريف الجامع المانع، وبيان ماهية الشيء[51].

ومن أبرز فنون تحصيل الحاصل عند الحصري: التكرار،

وقد وظّف الشاعر الحصري تكرار المعنى دون اللفظ لغرض الشرح، وذلك في قوله:

(لا نار بدون دخان)[46]، وهي قريبة إلى فن التعليق في علم البديع، والذي يعني أن يأتي المتكلم بمعنى، ثم يعلق به معنى آخر[47].

ومن أشهر الفنون البديعية التي يمكن أن تدرس ضمن حجة المتلازمين: التذييل، وظّفه الحصري في شعره، تطبيقا لحجة المتلازمين، فقال:

مَاتَ المَكَارِمُ وَابني وَمَاتَت المَكْرُمَاتُ
لَيت الَّذِينَ أَرَاهُمْ وَفِيهُمُ المَكْرُ مَاتُوا[48]

يتجلى التذييل في تكرار معنى المصراع الأول من البيت الأول في مصراعه الثاني، لأن المكارم والمكرمات على معنى واحد ، ولكن هذا التكرار لا يثير اهتمامنا إلا إذا جعلناه في سلك الحجاج، إذ يبدو الغرض منه هو الاستدلال على أن المكارم قد قضت نحبها، بسبب موت صاحبها، الذي هو عبد الغني، فالمكارم وعبد الغني متلازمان، لا يتبخّر أحدهما ويبقى الآخر.

والتذييل هو الإتيان –بعد إتمام الكلام- بجملة أخرى مستقلّة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الكلام، أو لمفهومه[49].

المطلب السابع: تحصيل الحاصل أو الحجاج

(49) ينظر: الطالبي، يحيى بن حمزة: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1423. 61/3.
(50) ينظر: الخطيب، محمد عبد الفتاح: المعنى وتشكله في الدرس النحوي: قراءة في كتاب (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) للإمام أبي الفتح عثمان بن جني، المتوفى 392هـ، بدون طبعة وتاريخ. ص77.
(51) ينظر: علوي، حافظ إسماعيلي: الحجاج: مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. ج1، ص91.

(46) ينظر: طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. ص32..
(47) ينظر: ابن منقذ، أسامة: البديع في نقد الشعر. تحقيق الدكتور: أحمد أحمد بدوي، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة، بدون طبعة وتاريخ. ص58.
(48) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص 92.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

"بكى" على سبيل المثال، فإنه يتبادر إلى أذهاننا كلمات، مثل: الطفل، الحزن، الدموع.

وقد وُظّفت كلمة "العميد" في المصراع الأول، في سياق محاولة الشاعر إقناع المتلقي/ المحبوبة بأنه لا زال يكنّ لها الحب، رغم ابتعادها عنه، وتكررت الكلمة في المصراع الثاني لغرض التأكيد والمبالغة والتعميم، إذ يصف الشاعر المحبوبة بأنّها ليست من صنف النساء اللواتي ينساهن القلوب، وأن قيمتها معروفة لدى جميع الناس: (وكل قلب عليكِ عميد).

الخاتمة

بعد سعي البحث إلى قراءة البديع في ضوء آليات البلاغة الجديدة (الحجاج)، وبعد التطبيق على نماذج من شعر أبي الحسن الحصري القيرواني، أسفر عن النتائج التالية:

1- إذا كانت البلاغة الجديدة تهتم بالزخرف، لكونه وسيلة مهمة للإبداع والإقناع، فإن البديع يمكن أن يطور الدرس الحجاجي، وخصوصا إذا كان الشاعر صادقا في معاناته، راغبا في تبليغ رسالته، فالمعنى بحاجة إلى جمال يحسّنه، والبديع في النهاية تجسيد لفكرة الحجاج ودلالة على وجودها، وقد تبيّن للباحث أن غرض الحصري من توظيف فنون البديع هو محاولة جذب انتباه المتلقي، والتأثير فيه، وتنوعت استراتيجيته في ذلك، إذ كان يقصد

رَعى اللهُ مَن يَهوى هَوايَ وَإِنَّني عَلى العَهدِ باقٍ لا سُلُوّ وَلا غَدرُ[52].

يتجلّى تكرار المعنى دون اللفظ في قوله: (إنني على العهد باق)، وقوله: (لا سلو، ولا غدر)، لأن العبارتين على معنى واحد، إلا أن الثانية قد جيء بها لغرض الشرح، وهنا يحاول الشاعر إقناع المتلقي/ المحبوبة بأنه ليس من أولئك الذين ينسون العهد الذي قطعوه لمحبوبتهم، أو يخونون هذا العهد، وقد تعجز الكتابة عن تبيان مثل هذا المعنى دون اللجوء إلى التكرار؛ إذ لو تسنى للشاعر أن يضع خطّا تحت العبارة الجوهرية: (وإنني على العهد باق)، ليستغني به عن التكرار لربما فعل ذلك.

كما استعمل الإرصاد في سياق الحجاج، وذلك في قوله:

دَنوتِ مِنَ القَلْبِ العَمِيدِ عَلَى النَّوى وكُلُّ لَهُ قَلْبٌ عَلَيْكِ عَمِيدُ[53]

يتمثل الإرصاد في كلمة: (العميد) الواردة في حشو المصراع الأول، وفي نهاية المصراع الثاني، فبعدما عرف المتلقي روي البيت السابق لهذا البيت، توقّع أن تكون آخر كلمة في عجزه هي (العميد)، بدليل ورودها في صدر البيت مقترنة بالقلب أيضا، وهذا هو الإرصاد، الذي يعنى به أن يدل أول الكلام على آخره، أو أن يكون أول الكلام مرصدا لفهم آخره، ويكون مشعرا به[54]، فكأن الكلمة الأولى تستدعي الثانية، فإننا عندما نسمع كلمة

(52) المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج: علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. ص22.
(53) المصدر السابق. ص20.
(54) الطالبي، يحيى بن حمزة: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. 168/2.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

ببعض الفنون إقناع المتلقي، مثل: (الطباق، السجع، التكرار، الإصاد)، بينما كان يحاول ببعضها البرهنة، مثل: (الجمع والتقسيم، الجناس)، أو الاستدلال على فكرة يقوم بعرضها على المتلقي، مثل: (رد العجز على الصدر، تجاهل العارف، التذييل).

2- كشفت الدراسة عن تمكّن الحصري من التوفيق بين الاهتمام بالشكل والمضمون، حيث كان اعتناؤه بالبديع، وترتيب لغته، وتحسين كلامه على نحو مخصوص، من أجل إزالة الغبار عن الكلام، وإعطائه حقه من التوضيح والتخصيص والتبرير، تمهيدا إلى إزالة جميع ألوان الشكوك من نفس المتلقي.

3- لم يكن تكرار الشاعر لعناصر متفقة أو متشابهة في المعنى دليل عجز عن توظيف غيرها، أو رغبة في تزيين الكلام فحسب، بل لأنه كان ملزما بهذا التكرار لأهميته التأثيرية.

المصادر والمراجع

إبراهيم، البخاري عبد المحمود الشيخ. (2009). أبو الحسن الحصري" حياته وشعره". رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة أم درمان، السودان.

بلانتان، كريستيان. (2009). الحجاج. ترجمة: عبد القادر المهيري. تونس: وزارة الثقافة والمحافظة على التراث.

بيومي، السباعي. (1937). الغزل والنسيب في شعر حافظ.صحيفة دار العلوم (الإصدار الثاني) - مصر، س 4، ع1.

التفتازاني، سعد الدين. (2013). المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم. تحقيق الدكتور: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن جعفر، قدامة. (1400هـ-1980م). نقد النثر أو كتاب البيان. بيروت: دار الكتب العليمة.

الخطيب، محمد عبد الفتاح. (؟). المعنى وتشكله في الدرس النحوي: قراءة في كتاب (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) للإمام أبي الفتح عثمان بن جني، المتوفى 392هـ.

الخولي، محمد علي. (2001). علم الدلالة (علم المعنى). الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع.

داحم أسية. (2008). الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية. رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر.

الدريدي، سامية. (2011). الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه. إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث.

ابن شيق، الحسن. (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. بيروت: دار الجيل.

السبكي، أحمد بن علي. (1423هـ-2003). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إربد: عالم الكتب الحديث.

ابن مالك، بدر الدين. (؟). المصباح في المعاني والبيان والبديع. الجماميز: مكتبة الآداب ومطبعتها.

المرزوقي، محمد ويحيى، الجيلاني بن الحاج. (1973). علي الحصري، المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح. تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

ابن منقذ، أسامة. (؟). البديع في نقد الشعر. تحقيق الدكتور: أحمد أحمد بدوي، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (1407هـ - 1987م). مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (2004). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

صادق، مثنى كاظم. (2015). أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: تنظير وتطبيق على السور المكية. تونس: كلمة للنشر والتوزيع.

صولة، عبد الله. (2011). في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات. تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع.

الطالبي، يحيى بن حمزة. (1423). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. بيروت: المكتبة العصرية.

طروس، محمد. (2005). النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. الدار البيضاء: دار الثقافة.

العزاوي، أبوبكر.(2010). الخطاب والحجاج. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة.

العسكري، أبو هلال. (1419). كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. بيروت: المكتبة العصرية.

علوي، حافظ إسماعيلي. (2010). الحجاج: مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية